على الغلاف

رحيل

هانو ديبانغو شخصية فنية شهيرة وصفته وسائل الإعلام بالأسطورة

كورونا هزم عازف الساكس الأسمر
وداعاً مانو ديبانغو... ملك الجاز الإفريقي

قيل إن أفريقيا غير معرّضة. وقيل إن أصحاب البشرة الداكنة يتمتّعون بمناعة استثنائية. بين العلم والتنظير الشعبي، قيل الكثير. لكن، لغاية الآن، سمع الفيروس كل ما قيل، ابتسم بخبث، هزّا من العلماء وساواهم بالبسطاء، ثم مسح عرقه وتابع العمل على تركيع الكرة الأرضية، زاجراً الجنس البشري: أنا الملك.

فها هي القارة السمراء تسجّل العديد من دولها إصابات ووفيات، وها هو الساكسوفونيست الكاميروني الأسمر، «بابا مانو»، يسلم الروح عن عمر 86 سنة، مع الإشارة إلى أن التينور الكبير بالأسيدو دومينغو أعلن أيضاً إصابته بكورونا.

مانو ديبانغو هو شخصية فنية شهيرة جداً. جميع وسائل الإعلان تصفه، ووصفته إثر إعلان خبر وفاته، بالأسطورة. هذا صحيح، لكن نضيف، من باب الدقة والتصويب، أنه أسطورة في عالم الشهرة الفنية، لا أسطورة موسيقية. فشهرته أكبر من إرثه الموسيقي، وهذا يحصل في عالم الموسيقى، ويحصل عكس ذلك أيضاً. فثمة عظماء في الموسيقى لا يتمتّعون بشهرة ديبانغو، وكثيرون مثله تتمتع أسماؤهم بانتشار عالمي، لكن قيمتهم الموسيقية ليست على ذات القدر من الأهمية نسبياً. هذا يحصل عادةً عندما ينتشر عملُ واحد لفنان، بشكل كبير وغريب، يلعب فيه القدر دوراً أساسياً، فإنْ راجعنا كل المقالات والكتابات المتعلّقة بمانو ديبانغو، قبل وبعد رحيله، نجد فيها قاسماً مشتركاً هو أنه صاحب أغنية Soul Makossa... إنها أغنية واحدة وليست البوماً كاملاً حتى. نقرأ عناوينها أينما ورد اسم صاحبها، ولا نقرأ عنواناً آخر له. حتى أن فرقته، أو إحدى التركيبات التي جال معها العالم وقدّم الحفلات (من بينها واحدة في بيروت) تحمل اسم The Soul Makossa Gang... إنه الحظ، يبتسم لشخصية ما، تماماً كما يعبس بوجه أخرى، فيخلق حالات يشوبها خلل في العدل، يتولّى التاريخ تصحيحه لاحقاً. أما دفعة الشهرة الإضافية التي حظيت بها أغنية ديبانغو، فهي الدعوى التي أقامها صاحبها على مايكل جاكسون (Wanna Be Starting Something)، بعده، على ريهانا (Please don't stop the music)، بعدما اتّهم كلاً منهما باستعارة عناصر من عمله من دون إذن مسبق.

ولد ديبانغو في الكاميرون عام 1933، وانتقل إلى فرنسا للدراسة في أواخر أربعينيات القرن الماضي، وتعلّم العزف، في الوقت عينه، على آلات عدة مثل البيانو والمندولين، قبل أن يهديه صديقٌ آلة ساكسوفون لم يعد بحاجة إليها. تشرّب الفتى الأسمر كلاسيكيات الجاز وسمع لاحقاً التجارب التي وُلدت في الستينيات والسبعينيات، من فانك وسول وفيوجن، وراح يخمّرها مع ما ورثه في الجينات ومن المحيط الأول: الألحان والإيقاعات الأفريقية التي كانت قد غذّت أساساً الموسيقى الأميركية الشمالية وامتزجت بالألحان الإسبانية في أميركا

> ينتمي إلى نمط يجمع بين الجاز والفانك والسول والموسيقى الافريقية

اللاتينية. بدأ بالعمل إلى جانب فنانين آخرين (فرنسيين بشكل أساسي، أبرزهم نينو فيرير) ثم بصناعة أعماله الخاصة في أواخر الستينيات قبل أن يُصدر أغنيته الشهيرة المذكورة أعلاه ويقع عليها DJ أميركي ويبثّها على مسامع الجمهور، ويحصل الانفجار الذي جعل من ديبانغو اسماً مطلوباً في أنماط موسيقية أخرى. هكذا استعان به نجوم الأغنية الفرنسية الشعبية الجادّة أمثال جيلبير بيكو وسيرج غينسبور، إذ تميّز بنبرة (نفخة) فيها بعض الزخم وتغلّفها «بحة» خاصة، تلك التي نجدها كثيراً لدى الموسيقيين الأفارقة الذين أتقنوا الساكسوفون وتأثّروا بالموسيقى الأميركية السوداء. راح بعد ذلك يقيم الحفلات في أوروبا والعالم، قبل أن يصل إلى لبنان، عبر «ليبان جاز» في نيسان (أبريل) 2015، ليقدّم مع فرقته أمسية واحدة في بيروت، ويومها قال: قد يكون لبنان من البلدان العشرة الوحيدة التي لم يتسنّ لي أن أعزف فيها بعد.

ينتمي ديبانغو إلى نمط كبير، يجمع بين الجاز والفانك والسول والموسيقى (نغماً وإيقاعاً) الإثنية الكاميرونية والأفريقية عموماً. له مقطوعات موسيقية وأغنيات، صدرت في عشرات الألبومات التي يعود آخرها إلى 2013، لكن نشاطه الفعلي هو الحفلات التي تعدّ بالآلاف في مسيرته، وقد ظلّ يحييها رغم تقدّمه في السن. فقد أطلّ على الجمهور مطلع الشهر الماضي على أحد المسارح مونبولييه (جنوب فرنسا)، قبل أن يُصاب بالفيروس الذي عطّل روزنامة النشاطات الموسيقية الحية في معظم الدول، وقبل أن يبدأ بالإطاحة بكبار الأسماء في هذا المجال. أول ضحية هي مانو ديبانغو، الذي نسجّل اسمه على رأس لائحة نتمنى أن لا تطول، لكنها، مع الأسف، قد تفعل.

بشير صفير

ستريمينغ

Pandemic (أيضاً) استشرف الوباء
أيّها المحجورون... «نتفليكس» تنقذ لكم العالم

بمحض المصادفة. وفي الوقت الذي بدأ فيه فيروس «كوفيد ـ 19» بالانتشار انطلاقاً من مدينة ووهان الصينية، كان جمهور منصة البثّ الرقمي الأميركية على موعد مع عمل يعرّف بأبطال في الخطوط الأمامية للمعركة ضد الإنفلونزا، مسلّطاً الضوء على جهودهم الرامية إلى وقف الفاشية العالمية التالية

نادين كنعان

تزامناً مع رصد أولى الحالات المصابة بفيروس كورونا المستجدّ في مدينة ووهان الصينية، وصلت إلى منصة البث الرقمي الأميركية «نتفليكس» سلسلة وثائقية جديدة بعنوان Pandemic: How to Prevent an Outbreak (جائحة: كيف نمنع الفاشية). العمل مؤلّف من ست حلقات، لا تتعدّى مدّة كل منها 55 دقيقة. وفيها، نتعرّف إلى أبطال الخطوط الأمامية للمعركة ضد الإنفلونزا، ونلقي نظرة مقرّبة على جهودهم الرامية إلى وقف الفاشية العالمية التالية. توقيت إطلاق السلسلة لا يعدو كونه مصادفة، إلا أنّها حميدة من دون شك. فهذا عمل غني بالمعلومات، مُلهم ومرعب في الوقت نفسه، يسائل مدى جهوزيّة المعمورة للتعاطي مع واقع كهذا.

يقف أحد المسؤولين الحكوميين في أحد حقول مدينة بيتسبيرغ الأميركية أمام مقبرة جماعية. ينظر بهدوء إلى المثوى الأخير لعشرات ضحايا وباء الإنفلونزا الإسبانية الذي قضى في عام 1918 على حوالى مئة مليون شخص حول العالم. بهذا المشهد، يُفتتح Pandemic ليذكّرنا بحجم الدمار الذي يمكن أن ينجم عن جائحة كالإنفلونزا، قبل أن تتبادر إلى الأذهان تساؤلات لا تنتهي عن النتيجة التي سيؤول إليها كابوس وباء «كوفيد ـ 19» الذي يصارع العالم بأكمله اليوم لمحاربته.

تنطلق السلسلة من فرضية أنّنا على مشارف مواجهة جديدة مع فيروس قاتل وسريع الانتشار. لقد مضت أكثر من مئة عام على الإنفلونزا الإسبانية التي حدثت في وقت لم يكن مجموع سكّان الكرة الأرضية يتعدّى المليارين. أما اليوم، وفي ظل وجود ثمانية مليارات إنسان، فحذّر مدير وحدة التهديدات الناشئة في «الوكالة الأميركية للتنمية الدولية»، دينيس كارول، من أنّه عندما نتحدّث عن جائحة إنفلونزا جديدة، السؤال ليس إذا ما كانت ستحدث، بل متى؟

انطلاقاً من هذا الكلام الوارد في Pandemic، سألت صحيفة «غارديان» البريطانية: هل يمكن أن يكون التوقيت الآن؟ سؤال مشروع وبديهي طبعاً، في ظل وصول عدد الإصابات بـ «كوفيد ـ 19» إلى أكثر من 300 ألف حالة مؤكدة (لغاية كتابة هذه السطور)، بحسب «منظمة الصحة العالمية» التي حذّرت، أمس الثلاثاء، من تسارع وتيرة انتشار الوباء. ناهيك عن الاضطراب واسع النطاق في الأسواق المالية، أماكن العمل، حركة الطيران وعمليات الإنتاج، على رأسها الغذاء. أثار توقّعتها سلسلة Pandemic وعاينتها عن كثب بطريقة مصقلة بالتفاصيل لا تخلو من الدراما والأسلوب الحكائي الجذّاب، بالإضافة إلى مادة بصرية لافتة.

العمل من إنتاج «زيرو بوينت زيرو برودكشنز» (سبق أن وقّعت برامج الشيف الأميركي الراحل أنطوني بورداين)، ويقدّم للمشاهدين مجموعة من الشخصيات التي تتكشف قصصها فيما تتنقل السلسلة في جميع أنحاء العالم. هؤلاء الأبطال هم علماء وأطباء وخبراء كوارث، يؤكدون أنّ الشرّ لا يمكن في الفيروس في حدّ ذاته، إنّما بالمعلومات الخاطئة التي غالباً ما تواكب انتشاره.

مستخدماً أسلوباً مشابهاً لذلك المتّبع في فيلم Contagion (إخراج مارتين سودربيرغ ـ 2011/ اعتبر كثيرون أنّ أحداثه مشابهة لما نعيشه اليوم في ظل كورونا)، يتنقل Pandemic في أماكن مختلفة في العالم. من معسكرات تابعة لـ «وكالة إنفاذ قوانين الهجرة والجمارك» (ICE) في الولايات المتحدة على الحدود الأميركية، إلى مستشفى مقاطعة يعاني من نقص التمويل في أوكلاهوما، إلى الكونغو حيث الكفاح في أشدّه لاحتواء فيروس إيبولا.

في خضم كل ذلك، نكتشف حجم المعاناة الملقاة على عاتق العاملين في حقول الرعاية الصحية: عاملون يقلبهم الموت أثناء معالجة مصابين بإيبولا في أفريقيا، وأطباء في الهند يضطرون يومياً إلى معاينة

> يتألّف من ست حلقات لا تتعدّى مدّة كل منها 55 دقيقة

ما يزيد عن ألف مريض يعانون من أعراض إنفلونزا الخنازير الخطرة، ومتطوّعون على الحدود يقدّمون لقاحات، وأطباء لا يرون عائلاتهم، إلى جانب علماء طموحين يبحثون عن لقاحات أثناء العمل خارج الصيدليات الكبرى.

الطبيب الأميركي رايان ماكغاري (38 عاماً)، شارك في إخراج العمل الذي صوّر في بنسلفانيا الأميركية. وفي مشهد لا يختلف عمّا تظهره كاليفورنيا اليوم بالمرضى المحتملة إصابتهم بكورونا. في مقابلة مع صحيفة «لوس أنجليس تايمز» الأميركية، قال الطبيب الذي يعمل على لقاح ضدّ «كوفيد ـ 19»: «لا أدري كيف عليّ أن أشعر الآن... سعيد بأنّني كنت قادراً على إبراز التحذيرات بالنسبة إلى بعض الأشخاص الأذكياء. لكن كفنان وطبيب، لا أستطيع فهم مستوى المعاناة والدمار الذي قد نواجهه». ويوضح عن تفشّي وباء كورونا حالياً: «أعني أنّني أظن أنّه سيغيّر حياتنا إلى الأبد».

في سياق متصل، وفي حديثه إلى جايك تابر عبر شبكة «سي. أن. أن» الأميركية، لفت الطبيب والمخرج والمنتج المنفذ إلى أنّه يريد أن يخبر العالم أنّه ليس فقط الأطباء، ولكنّ الممرضون والمساعدون وموظفو الدعم في المستشفيات، سيعملون بجهد في وقت يزداد فيه الخطر».

وُلد Pandemic من محادثات مكغاري مع زملاء له حول الذكرى المئوية للإنفلونزا الإسبانية: «بدأنا ننظر إلى الناس حول العالم وفي الولايات المتحدة، الذين تركّزت حيواتهم المهنية بالكامل على محاولة التأكّد من أنّ مأساة عام 1918 لن تتكرر أبداً... ومع ذلك، فإنّ معظم هؤلاء الناس، تم تخفيض ميزانياتهم أو لم يتم أخذها على محمل الجد... وها نحن ذا».

Pandemic الذي يحتل قائمة الأعمال الأكثر مشاهدة على «نتفليكس» اليوم، يوصلنا إلى خلاصة مفادها أنّ الأشخاص الذين يعملون في أنظمة قوية، ويحظون بتمويل لائق في ظل وجود تعاون بين الحكومات والمواطنين، يمكنهم تحقيق تقدّم كبير في أحلك الظروف الصحية. لكن ماذا عن ملايين الذين يفتقرون إلى أدنى هذه المقوّمات؟